فائدة تكرير النداء بقوله (ربنا) إظهار الضراعة إلى الله تعالى وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى فإن الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء فجملة النداء معترضة بين المعطوف هنا والمعطوف عليه في قوله الآتي (ربنا وابعث فيهم رسولا) .

والمراد بمسلمين لك المنقادان إلى الله تعالى إذ الإسلام الانقياد ولما كان الانقياد للخالق بحق يشمل الإيمان بوجوده وأن لا يشرك في عبادته غيره ومعرفة صفاته التي دل عليها فعله كانت حقيقة الإسلام ملازمة لحقيقة الإيمان والتوحيد ووجه تسمية ذلك إسلاما سيأتي عند قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وأما قوله تعالى (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فإنه فكك بينهما لأن إسلامهم كان عن خوف لا عن اعتقاد فالإيمان والإسلام متغايران مفهوما وبينهما عموم وخصوص وجهي في الماصدق فالتوحيد في زمن الفترة إيمان لا يترقب منه انقياد إذ الانقياد إنما يحصل بالأعمال وانقياد المغلوب المكره إسلام لم ينشأ عن اعتقاد إيمان إلا أن صورتي الانفراد في الإيمان والإسلام نادرتان .

ألهم الله إبراهيم اسم الإسلام ثم ادخره بعده للدين المحمدي فنسى هذا الاسم بعد إبراهيم ولم يلقب به دين آخر لأن الله أراد أن يكون الدين المحمدي إتماما للحنيفية دين إبراهيم وسيجيء بيان لهذا عند قوله تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا) في سورة آل عمران .

ومعنى طلب أن يجعلهما مسلمين هو طلب الزيادة في ما هما عليه من الإسلام وطلب الدوام عليه لأن الله قد جعلهما مسلمين من قبل كما دل عليه قوله (إذ قال له ربه أسلم) الآية .

وقوله (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) يتعين أن يكون (من ذريتنا) و (مسلمة) معمولين لفعل (اجعلنا) بطريق العطف وهذا دعاء ببقاء دينهما في ذريتهما ومن في قوله (من ذريتنا) للتبعيض وإنما سألا ذلك لبعض الذرية جمعا بين الحرص على حصول الفضيلة للذرية وبين الأدب في الدعاء لأن نبوءة إبراهيم تقتضي علمه بأنه ستكون ذريته أمما كثيرة وأن حكمة الله في هذا العالم جرت على أنه لا يخلو من اشتماله على الأخيار والأشرار فدعا الله بالممكن عادة وهذا من أدب الدعاء وقد تقدم نظيره في قوله تعالى (قال ومن ذريتي) .

ومن هنا ابتدئ التعريض بالمشركين الذين أعرضوا عن التوحيد واتبعوا الشرك والتمهيد لشرف الدين المحمدي .

والأمة اسم مشترك يطلق على معان كثيرة والمراد منها هنا الجماعة العظيمة التي يجمعها جامع له بال من نسب أو دين أو زمان ويقال أمة محمد مثلا للمسلمين لأنهم اجتمعوا على

الإيمان بنبوة محمد A وهي بزنة فعلة وهذه الزنة تدل على المفعول مثل لقطة وضحكة وقدوة فالأمة بمعنى مأمومة اشتقت من الأم بفتح الهمزة وهو القصد لأن الأمة تقصدها الفرق العديدة التي تجمعها جامعة الأمة كلها مثل الأمة العربية لأنها ترجع إليها قبائل العرب والأمة الإسلامية لأنها ترجع إليها المذاهب الإسلامية وأما قوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) فهو في معنى التشبيه البليغ أي كأمم إذا تدبرتم في حكمة إتقان خلقهم ونظام أحوالهم وجدتموه كأمم أمثالكم لأن هذا الاعتبار كان الناس في غفلة عنه .

وقد استجيبت دعوة إبراهيم في المسلمين من العرب الذين تلاحقوا بالإسلام قبل الهجرة وبعدها حتى أسلم كل العرب إلا قبائل قليلة لا تنخرم بهم جامعة الأمة وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وأما من أسلموا من بني إسرائيل مثل عبدا بن سلام فلم يلتئم منهم عدد أمة .

وقوله (وأرنا مناسكنا) سؤال لإرشادهم لكيفية الحج الذي أمرا به من قبل أمرا مجملا ففعل أرنا هو من رأي العرفانية وهو استعمال ثابت لفعل الرؤية كما جزم به الراغب في المفردات والزمخشري في المفصل وتعدت بالهمز إلى مفعولين .

A E